

الحضور النسوي في المسرح الجزائري:

ليليان الهاشمي أول سينوغرافية في تاريخ المسرح الجزائري

The Feminine Presence in Algerian Theater

Liliane El-Hachemi, the first scenographer in the history of Algerian theater

1* مينة مراح

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2

mina.mearah@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال: 2024/11/06 تاريخ القبول: 2024/12/18 تاريخ النشر: 2024/12/26

الملخص:

تعتبر ليليان الهاشمي أول امرأة جزائرية اقتحمت ميدان السينوغرافيا في تاريخ المسرح الجزائري وذلك بعد الاستقلال بفترة قصيرة. هذا الميدان الذي كان حكرًا على الرجال فقط وقد حقق تميزًا على المستوى العالمي على يدي السينوغراف عبد القادر فراح الذي التحق بفرقة شيكسبير العالمية مما جعل الكثيرين يتهيبون ولوج عوالم الديكور والأزياء. لكن ليليان الهاشمي وهي من أصول سويسرية التحقت بالجزائر لتدرس الفنون الجميلة وتتزوج من الفنان والمخرج نور الدين الهاشمي وتلتحق بالمسرح الوطني لتكون أول سينوغرافية جزائرية ساهمت في الكثير من الأعمال الكبرى للمسرح الجزائري مثل مسرحية غيرة الفهامة لكاتب ياسين وحوت ياكل حوت لمسرح وهران كما أنه لها بعض التجارب في السينما كمصممة للأزياء .

الكلمات المفتاحية: ليليان الهاشمي. السينوغرافيا. عبد القادر فراح. المسرح الجزائري. غيرة الفهامة. حوت ياكل حوت.

*المؤلف المرسل

الحضور النسوي في المسرح الجزائري: ليليان الهاشمي أول سينوغرافية في تاريخ المسرح الجزائري

Abstract:

Liliane Al-Hechemi is considered the first Algerian woman to have entered the field of scenography in the history of the Algerian theater, shortly after independence. This field was previously exclusive to men only, and had achieved global distinction under the hand of the scenographer Abdelkader Farrah, who joined the world-renowned Shakespeare company, which made many hesitant to enter the worlds of decor and costumes.

However, Liliane Al-Hechemi, of Swiss origin, came to Algeria to study fine arts and married the artist and director Nouredine Al-Hashemi. She then joined the National Theater, becoming the first Algerian scenographer who contributed to many major works of the Algerian theater like Poudre d'Intelligence of Kateb Yacine and Hout Yakoul Hout. She also has some experiences in cinema as a costume designer.

Key words :Liliane Al-Hechemi .Abdelkader Farrah. Scenography. Algerian theater.

1-مقدمة

يمثل الحضور النسوي في المسرح الجزائري قصة نجاح تستحق الإشادة، وهو دليل على أن المرأة الجزائرية قادرة على تحقيق الإنجازات في جميع المجالات. ومع استمرار الدعم والتشجيع، يمكن للمسرح النسوي في الجزائر أن يشهد تطوراً أكبر وأكثر إبداعاً.

كما أنه شهادة حية على تطور المرأة الجزائرية وتحررها من القيود التقليدية. فبعد أن كان المسرح حكراً على الرجال، تمكنت المرأة الجزائرية من اقتحام هذا المجال وإثبات

مينة مراح

وجودها كصانعة للمسرح، لا مجرد ممثلة فيه. فلم تقتصر مساهمة المرأة الجزائرية على التمثيل فحسب، بل امتدت لتشمل كتابة النصوص المسرحية التي تعبر عن هموم وقضايا المرأة الجزائرية، وتتناول قضايا اجتماعية وثقافية ذات أهمية.

وبرزت العديد من المخرجات المسرحيات اللواتي قدمن أعمالاً متميزة، أثرت في المشهد المسرحي الجزائري، وكذلك العربي، ومنهن حميدة وفوزية آيت الحاج وسكينة مكيو وغيرهن.

وشكلت الممثلات الجزائريات جزءاً أساسياً من الفرق المسرحية، وقدمن أداءً متميزاً أثر في الجمهور ولعل أسماء مثل كلثوم وفتيحة بربار وفريدة صابونجي ونادية طالبي على سبيل المثال لا الحصر لأكبر دليل على ذلك.

أما فيما يخص السينوغرافيا -وهي موضوع مداخلتنا- فإنها وإن شهدت تأخراً إلا أنها أثبتت إمكاناتها المتميزة في ولوج هذا العالم والنجاح فيه. ولا أدل على ذلك من السينوغرافية التي ارتأينا ان نتناول إنجازاتها في هذا العمل ألا وهي ليليان الهاشمي. ونحن سنحاول ان نتطرق إلى مجموعة نقاط تتعلق بأعمال ليليان الهاشمي على وجه الخصوص مع التعرض الى مسألة السنوغرافيا في المسرح الجزائري ومدى اسهام المرأة الجزائرية فيها. واهم الصعوبات التي تعترضها.

فيما يخص ليليان الهاشمي قد يكون الأمر ليس بالسهل التحدث عنها وذلك للنقص الفادح الذي واجهناه أثناء بحثنا مما يدفعنا الى الدعوة الى الاهتمام أكثر بالأرشيف الجزائري لدراسة هته الأعمال الخالدة التي شهد لها القاصي والداني بالمستوى الفني الرفيع.

فمن هي ليليان الهاشمي وماهي أهم أعمالها وإنجازاتها التي حققتها خلال مشوارها الفني على ركح المسرح الجزائري وفي قاعات العرض وفي المحافل الدولية؟

الحضور النسوي في المسرح الجزائري:
ليليان الهاشمي أول سينيوغرافية في تاريخ المسرح الجزائري
2- السينيوغرافيا في المسرح الجزائري

لقد اهتم المسرح الجزائري كتابة وإخراجا بالجانب المتعلق بالسينيوغرافيا من العرض، حين أدرك بأنه عليه أن يؤسس مسرحا جزائريا متميزا بأبعاده الجمالية والفنية. وسعى إلى أن يواكب المسرح الغربي الذي استقى منه أهم أسسه في بداياته الأولى، و يعود ذلك بالدرجة الأولى، الى التواجد الفرنسي في الجزائر إبان الفترة الاستعمارية، حيث فرض هذا الوجود نظرة خاصة الى المسرح: من حيث النصوص والهياكل، وكانت بواكير الإنتاجات المسرحية الجزائرية استنساخا للتجربة الفرنسية، خاصة فيما يخص الديكور الذي لم يكن ينفذ ولا يصمم من طرف أياد جزائرية حتى مراحل متقدمة.¹ يقول بيوض: "لم يكن يوجد في هذه الفترة بين الجزائريين من يقوم بالجانب التقني كالديكور، والإضاءة، والملابس، والإخراج بل كان يعهد بها لبعض رجال المسرح الفرنسيين الذين كانوا يستجيبون لمساعدة رجال المسرح الجزائريين على ابتداء حيل الديكور ، لخلق الأجواء المسرحية المناسبة لكل مسرحية، حيث يقول علّالو حول هذه النقطة المتعلقة بالديكور : "كنا نستعين بالفرنسيين العاملين في المسرح. وكانوا ينفذون لنا كل الديكورات والحيل الفنية التي كنا نطلبها منهم. ولم يخلقوا لنا أية مصاعب لأننا كنا نعرف كيف نتعامل معهم . فالديكور بأياد جزائرية لم يعرفه المسرح الجزائري إلا في مرحلة تالية."²

لكن ابتداء من الستينيات ومع ظهور تجارب مسرحية جديدة إن كتابة أو إخراجا على غرار ولد عبد الرحمن كاكي وكاتب ياسين بدأ المسرح الجزائري في خوض مرحلة جديدة خولت له فيما بعد مكانة متميزة في المسرح العربي. لتأتي بعدها مرحلة السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات وتظهر تجارب ولد عبد الرحمن كاكي قدور

مينة مراح

النعمي ومسرح البحر وعلولة ومسرح الحلقة³ ، ويصبح اهتمام المسرح الجزائري المتأثر بالمسرح البريختي⁴ في محاولة خلق مفهوم جديد للمسرح ولأدواته الإجرائية التي يستقيها من التراث الجزائري الذي يزخر بالتنوع والبعد الاحتفالي أو الفرجوي. الفرجة التي لا تتسع لها العلبة الإيطالية وبات المسرح الجزائري بذلك مطالبا بالبحث عن فضاءات جديدة ومتجددة لاحتوائه.

وانطلاقا من كل هذا أصبح لمفهوم السينوغرافيا في المسرح الجزائري بعدا جماليا وفنيا واصبحت المكونات السينوغرافية تتمتع بدور هام وفعال في بلورة الرؤية المسرحية مثلها مثل الحوار والممثل بل أصبحت مطلوبة لذاتها كأسلوب عصري للتعبير الفني والجمالي.

ولا غرو أن يكون الأمر كذلك حين نعلم بأنه قد بدأت تبرز توجهات في المسرح الجزائري تنادي بضرورة الاهتمام بالسينوغرافيا كتخصص، بعيدا عن الإخراج المسرحي والديكور بمعناه الضيق خاصة وأن الجزائر قد انجبت اسما من ألمع الأسماء السينوغرافية ألا وهو السينوغرافي عبد القادر فراح⁵.

ورغم مسألة نقص المتخصصين بسبب إهمال التكوين الأكاديمي النوعي هذا المجال إلا أننا نلاحظ اهتماما كبيرا بالسينوغرافيا في المسرح الجزائري حيث أصبح ذلك من البديهيات. خاصة مع التقدم التكنولوجي وما يتيح من إمكانيات (الإضاءة والصوت بشكل خاص).

ورغم تأخر ظهور السينوغرافيا كتخصص مستقل بذاته في الجزائر حيث كان المخرج في كثير من الأحيان هو من يقترح الديكور والأزياء، إلا أن هذا لم يمنع ظهور سينوغرافيين من الطراز الرفيع على غرار عبد القادر فراح وليليان الهاشمي وغيرهما.

الحضور النسوي في المسرح الجزائري:

ليليان الهاشمي أول سينوغرافية في تاريخ المسرح الجزائري

ولقد اهتم المسرحيون الجزائريون بالسينوغرافيا لإدراكهم أهمية مكوناتها وعناصرها فراحوا يفسحون المجال أمامها واسعا لتصوغ نصوص الكُتّاب المسرحية في رؤى فرجوية سمعية بصرية متميزة يغرفون عناصرها من التراث الشعبي الأصيل ليتحرروا من التبعية الى الغرب في هذا المجال . فالمسرح الكلاسيكي لم يعد يسع ابداعاتهم و اللعبة الإيطالية أصبحت تضيق بخيالهم المبحر. وهكذا وتأثرا ببرخت BRECHT عرف المسرح الجزائري عهدا جديدا مما دفع السينوغرافيين إلى مواكبة هذا التطور ومحاولة إيجاد تصميمات جديدة تتماشى والمنحى الجديد للمسرح الجزائري

3-مكانة المرأة في عالم السينوغرافيا في الجزائر

للمرأة الجزائرية مكانة خاصة في الفنون بأنواعها، فلقد استطاعت ان تفرض نفسها في مجالات فنية عدة منها لتمثيل والإخراج والتأليف المسرحي وكذلك كان الأمر في ميدان السينوغرافيا التي ورغم تأخرها في ولوجه وصعوبة هذا الولوج إلا أنها دخلته بكل ثقته وثقلها. والملاحظ أن هذا المجال يواجه نوعا من الندرة في عنصر النساء في مختلف تخصصاته وذلك يعود لامحالة الى مجموعة عوامل موجودة في الجزائر، كما في العديد من البلدان الأخرى، حتى المتطورة منها حيث تواجه المرأة العديد من العقبات للنجاح في مجال هيمن عليه الرجال لحقب زمنية طويلة ومتتالية.

وقد لا تخفى علينا تلك التحديات التي كانت تواجهها المرأة التي اختارت السينوغرافيا تخصصا في الجزائر، مثل التهميش وعدم التقدير ونقص الاعتراف بأعمالها، ضف الى صعوبة التوازن بين الحياة المهنية والعائلية لخصوصية هذه

مينة مراح

المهمة التي تتطلب تواجدا مستمرا في الورشات والمسارح طول فترة تحضير العروض ناهيه عن التواجد المتكررة في فضاءات ذكورية بامتياز.

ورغم هذه التحديات، حققت الفنانات المسرحيات الجزائريات عموما والسينوغرافيات خصوصا تقدماً ملحوظا في المجال المسرحي حيث اصبحن يقفن اندادا لرفقائهن الرجال فوق الركح لإنجاز أعمال مسرحية كبرى. وقد ازدادت أعدادهن جراء التطور الاجتماعي والثقافي الذي عرفته الجزائر بعد الاستقلال واستطعن بفضل اعمالهن الفنية ان يفتككن اعترافات بتميزهن في المجال الفني (السينوغرافي)وطنيا ودوليا.

وقد كان للتنوع في الإبداع أهمية لا يستهان بها، حيث استطاع تواجد نساء مسرحيات ممثلات ومخرجات وسينوغرافيات ان يثري المشهد الفني برؤى وحساسيات مختلفة، الشي الذي جعل مكانة المرأة في عالم السينوغرافيا الجزائرية قد تطورت بشكل كبير، استطاعت النساء ان يلجن عالم السينوغرافيا والديكور والازياء المسرحية بكل ثقة وتمكن من لعب دور أساسي في الإبداع الفني ويساهمن في تشكيل الهوية الثقافية لبلدهن.

وقد ساهمت عدة عوامل في هذا التقدم، بما في ذلك النضال الذي قاده فنانات ممثلات ومخرجات ومصممات ديكور وصانعات أزياء من أجل تقييم أعمالهن مثلها مثل أعمال رفقائهن الرجال. كما أن ظهور جيل جديد من المبدعات، وتعميم التعليم الفني في المعاهد المتخصصة والانفتاح الثقافي سمح لكوكبة من الفنانات بالتخصص في هذا المجال.

ولعل من العوامل المساعدة على اقتحام المرأة عوالم السينوغرافيا هو اسم خلدهته أعماله السينوغرافيا القيمة ليتخذ له مكانة بين أكبر الأسماء لرواد السينوغرافيا في الجزائر وفي العالم العربي وحتى الغربي، إنها ليليان الهاشمي.

الحضور النسوي في المسرح الجزائري:

ليليان الهاشمي أول سينوغرافية في تاريخ المسرح الجزائري

فمن هي ليليان الهاشمي وماهي أهم الأعمال التي قدمتها في مسارها الحافل بالإبداع في مجال السينوغرافيا في الجزائر وفي العالم خاصة فيما يتعلق بالديكور والأزياء؟

تعتبر ليليان الهاشمي مثالا بارزا على النضال والكفاح في هذا المجال إذ انها استطاعت ان تثبت ان هذا الميدان ليس حكرا على الرجال فقط. وذلك بفضل اعمالها الفنية الخالدة في المسرح والفن التشكيلي وكذلك من خلال مؤلفاتها التي عملت على التعريف بالموروث الشعبي الجزائري الذي احبته ومنحته اهتمامها.

كانت ليليان الهاشمي من أوائل النساء اللواتي دخلن مجال السينوغرافيا، مما ساهم في كسر الهيمنة الذكورية في هذا الفن. لقد أثبتت أن المرأة قادرة على الإبداع والتميز في مجالات كانت تُعتبر تقليدياً حكراً على الرجال

لكن رغم هذا فقليلون هم من يتحدثون عن ليليان الهاشمي، والمراجع التي تتناولها وأعمالها تكاد تكون منعدمة هي التي تعتبر أول مصممة ديكور في الجزائر، والتي أضافت لمستها الفنية الرفيعة إلى المسرح الجزائري في أهم أعماله حين استثمرت الفنانه والأستاذة ليليان الهاشمي في إدخال الابتكارات في فن تصميم المناظر الطبيعية في المسرحيات التي صممت ديكوراتها ووضعت لمسرتها السينوغرافيا في عروضها. وقد تركت تأثيراً عميقاً على المشهد المسرحي الحديث في الجزائر

4-ليليان الهاشمي مسيرة فنانه هندست للمسرح الجزائري أحلامه:

وُلدت الفنانة ليليان الهاشمي في الثالث فيفري 1942 بمدينة زيورخ السويسرية، ونشأت في ألمانيا الديمقراطية حيث انتقلت برفقة والديها جورج باشلر وسيغريد تشاسانوفسكي، قبل أن تختار الجزائر وطنا لها، حينما ارتبطت بزوجها المخرج نور الدين الهاشمي. وسجلت اسمها كأول مصممة ديكور في الجزائر. قامت هذه المرأة

مينة مراح

المبدعة في مجال التصميم المكاني بتخيل وإنشاء وتطوير العديد من ديكورات المسرح للمسرح الوطني الجزائري.

تحصلت على البكالوريا العلمية سنة 1961. وقامت بتربص تطبيقي بأوبرا برلين الكوميدية في الفترة الممتدة ما بين 1961 و1963⁶.

وهي حائزة على دبلوم في السينوغرافيا من جامعة الفنون الجميلة والتطبيقية، ببرلين. ودرست بمدرسة الفنون الجميلة برلين 1968.

كما أنها درست بمعهد برج الكيفان INADC (ISMAS) حاليا بلجزائر العاصمة. عملت كمصممة ديكور وأزياء لدى المسرح الوطني، التلفزة الوطنية، شركات السينما، وزارة الشباب والرياضة (الجزائر العاصمة)⁷.

اقتحمت عالم السينوغرافيا المعقد والجميل، وفككت أسرارهِ وطلاسمهُ بعد أن كان حكراً على الرجال، فاستحقت أن يسجل اسمها في ريبورتوار المسرح الوطني الجزائري، كأول سينوغرافية جزائرية ومصممة ديكور وأزياء.

ولعل السبب الذي عرفت من خلاله ليليان الجزائر هو كما يروي بعض الدارسين أنّ شقيق ليليان الهاشمي كان صديقاً لعدد كبير من الطلبة والمبدعين الجزائريين في ألمانيا مطلع ستينات القرن الماضي، فكانت تلك العلاقات الإنسانية أول نافذة أطلت منها "ليليان" على الجزائر التي أحببتها حباً عميقاً بكل جوارحها.⁸

قامت ليليان بدورة تدريبية عملية عليا في الفنون الجميلة والفنون التوضيحية في برلين (جمهورية ألمانيا الديمقراطية، 1963-1968)، وتحصلت على دبلوم في السينوغرافيا (1968). عملت كمساعدة في المدرسة العليا وشغلت وظائف كسينوغرافية في مسارح مختلفة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية (1968-1970). وتزوجت المخرج نورالدين الهاشمي في 1966 والعودة إلى الجزائر في (1970). منذ

الحضور النسوي في المسرح الجزائري:

ليليان الهاشمي أول سينيوغرافية في تاريخ المسرح الجزائري

عام 1970، نفذت أكثر من 30 عملاً سينيوغرافياً لمختلف المؤسسات الثقافية في البلاد (المسرح والسينما والتلفزيون وغيرها) ⁹ كما انتطرق الى ذلك.

وأظهرت ليليان قدرة على التنوع في إبداعها، وقوة في التصميم جعلتها تفتك مكانة متفردة وسط سينيوغرافي المسرح الجزائري، لتكون بحق أحسن لمثال للمرأة الفنانة التي اقتحمت بكل ثبات مجال لطالما أخفق فيه الرجال.

ويمكن رؤية بصمتها في مسرحية "ببجماليون" لجورج برنارد شو، وفي مسرحية "غربة الفهامة" لكاتب ياسين (1971) وغيرها، على مسرح قسنطينة عام 1971، هذه البصمة التي طبعتها هذه الفنانة متعددة المواهب، حيث درست في الجزائر، وصممت أزياء وديكورات للسينما والتلفزيون والباليه الجزائري، وكانت مصممة ديكور لفرقة برلينر (مسرح أسسه بريشت) وهذا المنصب ليس بالهين. كما صممت ملصقات للعديد من المسرحيات، وألفت كتاباً عن شكل المسرح الجزائري، وصممت الزي الرسمي للمنتخب الجزائري في أولمبياد برشلونة (1992) كما سنتطرق لذلك لاحقاً.

إلى جانب مسيرتها في المسرح التي كانت غنية وملهمة. كسرت جميع الحواجز في مجال كان ولا زال يهيمن عليه الرجال وتركت بصمة لا تُمحى في المسرح الجزائري. وقد عملت على العديد من المشاريع التلفزيونية والسينمائية، مقدمة لمستها الفريدة في كل إنتاج، أبدعت ليليان لوحات فنية جميلة.

انتقلت فيها بين مسرح وهران ومسرح قسنطينة والمسرح الوطني الجزائري، والتلفزيون الوطني، والمركز الوطني للإنتاج والتوزيع السينمائي.

5- فنانة كبيرة تشارك عمالقة المسرح الوطني مساراتهم:

- مسيرة ليليان الهاشمي الفنية وأهم أعمالها:

مينة مراح

كان أول ظهور لها في المسرح الجزائري عام 1964، في مسرحية "المرأة المتمردة" عن نص لوليم شكسبير، إخراج علال المحب وبطولة برتولت بريخت (مسرحية برتولت بريخت دائرة الطباشير القوقازية (1969)) ، إعداد محمد محبوب ستمبولي، وإخراج الحاج عمر. فازت المسرحية بالجائزة الأولى في مهرجان المسرح العربي بدمشق، سوريا. واصلت ليليان بعدها خدمتها للمسرح الجزائري لمدة ثلاثين عاما.

-غبرة الفهامة لكاتب ياسين: عمل رئيسي آخر حيث أظهرت ليليان موهبتها كمصممة ديكور وأزياء. لاقت هذه المسرحية استقبالا جيدا وساهمت في تعزيز سمعتها في عالم المسرح.

-المرأة المتمردة: اقتباس من "La Femme rebelle" لويليام شكسبير، أخرجها علال المحب في عام 1964. قامت ليليان بتصميم الديكورات لهذه المسرحية، مما شكل بصمتها الأولى في المسرح الجزائري.

-دائرة الطباشير القوقازية: اقتباس من "Le Cercle de craie caucasien" لبرتولت بريخت، اقتبسها محمد اسطمبوليو أخرجها حاج عمر في عام 1969. -بيجماليون: اقتباس من مسرحية برنارد شو، عُرضت في مسرح قسنطينة عام 1971. قدمت ليليان خبرتها كمصممة ديكور لهذا الإنتاج.

• أهم خصائص ليليان الفنية من خلال نماذج من أعمالها

-حوت ياكل حوت: عُرضت هذه المسرحية في عام 1975 في وهران. قامت ليليان بتصميم الديكورات والأزياء، مما أضفى لمسة فنية فريدة على هذا العمل. وهي تأليف جماعي لبن محمد و عبد القادر علولة ، وقد تركت انطبعا قويا بفضل معالجتها الجريئة للمواضيع الاجتماعية والسياسية. لعبت السينوغرافيا التي صممتها ليليان الهاشمي دورا حاسما في خلق جو غامر، يعكس التوترات والصراعات الكامنة في القصة.

الحضور النسوي في المسرح الجزائري:

ليليان الهاشمي أول سينوغرافية في تاريخ المسرح الجزائري

تستكشف المسرحية ديناميكيات السلطة والبقاء في مجتمع يعاني من أزمة. تُستخدم الاستعارات البحرية لتمثيل الصراعات والتفاعلات الإنسانية.

وقد استخدمت ليليان في ديكورات وأزياء هذه المسرحية عناصر بسيطة ولكن رمزية لاستحضار عالم في حالة تغير مستمر. تضمنت الديكورات هياكل معيارية يمكن أن تمثل أماكن مختلفة، مع الحفاظ على جمالية نظيفة. أما الأزياء، فقد صممت لتعكس شخصيات وأوضاع الشخصيات، مستخدمة مواد وقوامات تضيف بعداً بصرياً غنياً. وقد لاقت المسرحية استحساناً كبيراً من قبل الجمهور والنقاد، حيث أشادوا بالطريقة التي تمكنت بها ليليان من التقاط جوهر القصة من خلال إبداعاتها. ساهمت مشاركتها في هذه المسرحية في تعزيز سمعتها كرائدة في مجال السينوغرافيا في الجزائر.

وتعتبر "حوت ياكل حوت" مثالاً بارزاً على الالتزام الفني لليليان الهاشمي وقدرتها على إحياء حالات اجتماعية وسياسية معقدة من خلال السينوغرافيا .

- مسرحية فاطمة¹⁰ لمحمد بن قطاف وإخراج زياتي شريف عياد حيث أبدعت ليليان الهاشمي في تصميم سينوغرافيا يوميات هذه المرأة الجزائرية/الخادمة في البيوت والإدارات و التي تقمصت شخصيتها الفنانة صونيا وراحت تحكي يومياتها من خلال لمسة ديكور بسيط وأزياء تعكس قسوة المعيشة التي كانت تعكس من خلالها يوميات فاطمة.

وهي من أبرز المسرحيات التي قامت فيها ليليان الهاشمي بتصميم الديكور والأزياء وهي مونودرام قدمته الفنانة صونيا أو سكينه مكيو وقد أضافت لمستها الفنية إلى هذا العمل الذي أبدع في تأليفه أحمد بن قطاف وزياتي شريف عيادي في إخراجة. وقد يلمس المتلقي هذه اللمسة التي تجلت في الديكور الفقير المليء بالإحياء ولا أدل على ذلك من الشرشف الأبيض والذي كان اكسسوارا تجمعت فيه جماليات سينوغرافية كثيرة فراح يتحول من حبل الغسيل كمجرد غطاء الى حايك بكل مالهذا الزي التقليدي من إحياء وجالية، لتدثر به الشخصية فاطمة وهي تسرد معاناة المرأة الجزائرية في

مدينة مراح

مجتمع لم يتخلص من إرهاصات الحقبة الاستعمارية. دور فاطمة الذي أبدعت الممثلة صونيا في أدائه وأبدعت ليليان الهاشمي في وضع تصاميم أزيائه. وهنا نستذكر طرفة تذكرها صونيا حول علاقتها بليليان الهاشمي حيث تقول: "ليليان كانت فنانة تلتحف الحنان والرأفة.. تجمعني معها ذكريات كثيرة خاصة في مسرحية **الطمع يفسد الطمع** لما صممت لي فستان كريستالي أبهرتني به، ليليان فنانة ذكية يصعب أن تتكرر لأنها أيقونة".¹¹

أما في مسرحية **مسرحية الحافلة تسير**¹² فنجد ذكرا لليليان الهاشمي في مؤلف لأحمد شنيقي تحت عنوان لقاءات شبه خيالية¹³ حين حديثه عن عزالدين مجوبي ومسرحية حافلة تسير حيث يقول شنيقي أن المصممة ليليان الهاشمي تتحدث بهذه الكلمات: "بعد قراءة المسرحية، قمنا بتحديد النزاعات الرئيسية والثانوية، ثم انتقلنا إلى تحليل الشخصيات، لمعرفة كل من الأزياء والديكور الذي يتواجدون فيه. هذا المكان هو قبو، غير قابل للسكن، مليء بأشياء مستعادة، والتي يحاولون من خلالها تشكيل بيئتهم الأصلية. القبو هو مساحة للصراع المستمر مع البيئة. إنه عالم صغير، وهذا التباين يظهر طابعهم كمنبوذين، مستبعدين".¹⁴

ويضيف شنيقي: "تسلط هذه الكلمات الضوء على أهمية الديكور في المسرحية وكيف يعكس الصراعات الداخلية والخارجية للشخصيات، بالإضافة إلى تأثير البيئة على تطور الأحداث".¹⁵

كما قامت ليليان الهاشمي بتصميم الأزياء والديكورات للعديد من المسرحيات الأخرى، بالإضافة إلى إنتاجات تلفزيونية وسينمائية. لقد ترك عملها بصمة دائمة على المسرح الجزائري ولا يزال يلهم العديد من الفنانين.

• بعض أقوال ليليان الهاشمي حول السينوغرافيا:

قبل التطرق الى بعض الأقوال التي جمعناها بصعوبة من هنا وهناك لقلّة المصادر التي تتناول ليليان الهاشمي وأعمالها، علينا أن نشير أن الدراسات الأكاديمية لم تتناول حياة هذه الفنانة الجزائرية بالبحث وأن المراجع التي ذكرتها هي في الأغلب مقالات صحفية كان من الصعب بما كان الحصول عليها. ولعل قاموسي عبروس منصور

الحضور النسوي في المسرح الجزائري:

ليليان الهاشمي أول سينوغرافية في تاريخ المسرح الجزائري

وعاشور شرفي يعتبران المرجعين الأكاديميين الوحيدين مما جعلنا مضطرين للجوء الى المقالات الصحفية والمواقع الالكترونية للتمكن من إتمام هذا العمل على أن نتوسع مستقبلا في البحث في أرشيف المسرح الوطني لسد هذه القفزة في التأريخ للمسرح الوطني.

ومما ينقل عن ليليان الهاشمي انها كانت تقول:

”السينوغرافيا هي قلب المسرحية. هي التي تزرع الروح في النص وتجعله ينبض بالحياة. بدون ديكور يجسد النص، يبقى الحوار مجرد كلمات...“¹⁶
وتضيف:

”الفن السينوغرافي هو تجسيد للمشاعر والأفكار. هو ذاك العنصر السحري الذي ينقل الجمهور من واقعهم إلى عالم النص المسرحي“¹⁷.

وهي أقوال تعكس شغفها العميق بفن السينوغرافيا والتزامها بتقديم أعمال فنية تعبر بصدق عن النصوص المسرحية وتعززها.

لقد كان لها رؤى ثاقبة وفريدة حول فن السينوغرافيا. هي التي كانت تؤمن بأن السينوغرافيا ليست مجرد تصميم ديكور، بل هي فن ينبض بالحياة ويعكس قصص الشخصيات ويخلق الجو العام للمسرحية.

وحول السينوغراف الناجح فينقل لنا عاشور شرفي في قاموسه قولاً لليليان الهاشمي تقول فيه:

”يُكتشف السينوغراف الجيد من خلال الحرية التي يمنحها لنفسه مسبقاً، وفي تعميق منهجه دون سعي لأن يُعرف من خلال ناصر شكلية ثابتة، أو علامة تجارية. من عمل إلى آخر، يجب على السينوغراف أن يخضع لأفكار جديدة وأن يتخيل عوالم مختلفة، وبالتالي يستخدم مواد متنوعة أيضاً. لذا لا يعترف بالسينوغراف من خلال أسلوب معين، بل من خلال البحث المستمر عن التوافق بين الشكل والمحتوى، وجودة العمل المنجز.“¹⁸

مينة مراح

ورحلت ليليان في صمت مساء التاسع جوان 2002، مخلفة وراءها رصيда فنيا لا يستهان به، وتاركة فراغا كبيرا من الصعب ملؤه لولا الكثير ممن تأثر بها وعمل معها وتعلم منها.

• قائمة بأهم إنجازات ليليان الهاشمي في عالم المسرح والفن التشكيلي

وتصميم الأزياء واللافتات:

الأعمال المسرحية.

1-تصميم الديكور والأزياء

قامت المبدعة ليليان الهاشمي بتصميم ديكورات أهم المسرحيات الجزائرية

وعلى رأسها مسرحيات: "بيجماليون" لبرنارد شو (1968)

وميرما" للوركا (1969)

"Zeitgenossen" لستولبر (1969)

" حلم ليلة صيف" لشكسبير (1971)

" مسحوق الذكاء" لكاتب ياسين (1971)

" العقرا" لبوزرار (1973)

" فولبوني" لبن جونسون (1974)

" الروح الطيبة من سيتشوان" لبريشت (1975)

" حوت ياكل حوت" لبن محمد (1975)

" الرجل البورجوازي والمحرقون" لفريش (1978)

" عودة العلاج" لمداني (1986)

" فن الكوميديا" لفيلبو (1986)

" فاوست والأميرة الصلعاء" (1986)

" الحافلة تسير" (1991)

" فاطمة" لبن قطاف (1991)

" تعال، لنذهب" (1991)

" ألف مبروك لعارية" لدب (1993)

الحضور النسوي في المسرح الجزائري:
ليليان الهاشمي أول سينيوغرافية في تاريخ المسرح الجزائري
"اليوميات السرية لأ. مول" لتونسند (1994)
"ثمانى قطع مسرحية صغيرة" لكوتبوس (1996)
"في حديقته يحب دون بيرليمبلين بيليسا" للوركا (1997)¹⁹

3-تصميم اللافتات والملصقات:

بحكم تكوينها الفني التشكيلي،اهتمت ليليان الهاشمي بتصميم لافتات وملصقات للكثير من المسرحيات خاصة تلك التي قامت بتصميم ديكوراتها وأزيائها ونذكر من على رأسها مسرحيات:

"العاقرة لبوزرار"، "الطمع يفسد الطبع"، "حوت ياكل حوت"، روح "سيتشوان الطيبة"، "البورجوازي ومشعلو الحرائق"، "فن الكوميديا" و"فاوست والأميرة الصلحاء"²⁰.

وقامت ليليان الهاشمي بإنجازات أخرى أيضاً حيث صممت زي الفريق الجزائري في دورة الألعاب الأولمبية في برشلونة عام 1992. وكذلك قامت بوضع تصور لزي الحرس الجمهوري الجزائري.²¹

وإلى جانب عملها في المسرح، أنجزت أعمالاً رائعة في مجال الرسم والفنون التشكيلية أقامت معرضاً بقصر الثقافة (الجزائر العاصمة) في 19/11/ 1988 كما شاركت في عدة معارض جماعية بالجزائر وألمانيا.

علاوة على إنجازاتها الفنية العملية، ألّفت ليليان هاشمي كتاباً عن الأشكال شبه المسرحية في الجزائر، مما يؤكد على اهتمامها بالجانب البحثي والنظري للفنون الأدائية كما قامت بكتابة سيناريو حول الثقافة الأمازيغية.

حصلت على العديد من الجوائز والتكريمات خلال مسيرتها، وبعد وفاتها، تقديراً لمساهماتها الكبيرة في الفن والثقافة في الجزائر، فقد كانت مسيرتها الفنية مميزة بالتزام عميق وإبداع لا مثيل له.

¹ أحمد بيوض، المسرح الجزائري نشاته وتطوره ، دار هومه، الجزائر، 2011

² نفسه ص76

³ جميل الحمداوي المسرح الجزائري بين التأسيس والتجريب، دار ركاز للنشر والتوزيع ص 64-63

⁴ الشريف لدرع، بريخت والمسرح الجزائري

⁵ عبد القادر فراح من مواليد قصر البخاري في 26 مارس 1926، في العام 1946، سافر إلى فرنسا لتعلم فن الرسم، وفي عام 1952 كلفه المخرج المسرحي الهولندي بعمل تصميمات الديكور والملابس لأوبرا "شمشوم ودليلة" بمسرح أمستردام. ومن هنا بدأت العروض تتهاطل عليه، حيث عين رئيسا لقسم بالمركز القومي الفرنسي للمسرح بين 1955 و1961، وبعدها مباشرة دعاه الفنان الإنجليزي بيتر هول للالتحاق بفرقة شيكسبير العالمية، وقد صمم أيضا العديد من الديكورات لمسرحيات عديدة. وقد حصد خلال مسيرته الفنية عديد الجوائز العالمية منها جائزة لأفضل عروض السنة على مسرحية "دائرة الطباشير" القوقازية في عام 1958، وجائزة التحالف الفرنسي المسرحية، وجائزة النقد اللندنية السنوية لأفضل تصميم مسرحي لعام 1971، جائزة أفضل عرض مسرحي سنوي بباريس لمسرحية "ريشارد الثالث" لفرقة شكسبير الملكية في عام 1972، جائزة النقد النمساوية عن مسرحية "ترولوس وكريسيدا" لشكسبير في عام 1978. وتوفي عبد القادر فراح في 20 سبتمبر 2005 ببريطانيا.

⁶ Achour , Cheurfi, Mémoire algérienne. Dictionnaire biographique, Ed. Dahlab, Alger, 1996.

⁷ نفسه

8

⁹ Achour , Cheurfi ibid p164

¹⁰ مسرحية فاطمة لبن قطاف إخراج زياني شريف عياد انتاج مسرح القلعة

¹¹ في حديث لرابح هوداف أو كامل الشيرازي منشور في موقع المسرح نيوز لصفاء البيلي في ماي 2017

الحضور النسوي في المسرح الجزائري: ليليان الهاشمي أول سينيوغرافية في تاريخ المسرح الجزائري

¹² اقتباس بوبكر مخوخ عن سواق الأتوبيس لإحسان عبد القدوس وقد مثل فيها عزالدين مجوبي ودليلة حليلو.

¹³ *Cheniki, Ahmed. "Ahmed CHENIKI RENCONTRES (PRESQUE) IMAGINAIRES AVEC DES ARTISTES ET DES INTELLECTUELS ALGERIENS." (2019).*

¹⁴ نفسه ص 141

¹⁵ نفسه

¹⁶ رابح هوادف مصدر سابق

¹⁷ نفسه

¹⁸ Achour , Cheurfi مرجع سابق p164

¹⁹ *Abrous, Mansour. "Les artistes algériens." Dictionnaire biographique 1999, Casbah ed.alger, (1917).*

²⁰ نفسه

²¹ منصور عبروس مرجع سابق.

المراجع

احمد ببيوض، المسرح الجزائري نشاته وتطوره ، دار هومه، الجزائر، 2011
جميل الحمداوي المسرح الجزائري بين التأسيس والتجريب، دار ركان للنشر والتوزيع ص
64-63

الشريف لدرع، بريخت والمسرح الجزائري

Abrous, Mansour. "Les artistes algériens." Dictionnaire biographique 1999 (1917).

Achour , Cheurfi, Mémoire algérienne.

Dictionnaire biographique, Ed. Dahlab, Alger, 1996.

Cheniki, Ahmed. "Ahmed CHENIKI RENCONTRES (PRESQUE) IMAGINAIRES AVEC DES ARTISTES ET DES INTELLECTUELS ALGERIENS." (2019).